

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية



الاحتجاجات تحت مجهر الرقابة "الأخلاقية"

عودة علم أبحاث شتاء 2021 في تونس

اكتوبر 2022

مرام تبيني

عدد 1

سلسلة // الفعل الإجماعي في تونس

الاحتجاجات تحت مجهر الرقابة "الأخلاقية" عودة على أحداث شتاء 2021 في تونس

- I. المقدمة 3
- II. الاعتبارات المنهجية 5
- III. مسار تونس المحتجة 6
- IV. سياق أحداث شتاء 2021 8
- V. لقاءات إثنوغرافية : المُشاعِب والمتظاهرين 11
 1. مشير الشغب في الليل 11
 2. المتظاهرين والنهار 14
- VI. المواجهة بين أعمال الشغب والمظاهرات 16
 1. الفضاء العام: أيه ؟ لمن؟ 16
 2. صراعات الولاء وسرقة المطالب 17
 3. تصوّر الحركة الاجتماعية لسنة 2021 الكترونياً: إحباط ومراقبة 18
 - 3.1. الشرطة في الشبكات : دور نقابات الشرطة 18
 - 3.2. الجمهور : يستبطن القمع ويكرّسه 19
- VII. استنتاج 20

ا. المقدمة

لم بات فهم الآثار الذي تُحدثها حركة اجتماعية معيّنة أمرا عسيرا ما لم يتم التركيز على الانتكاسات و حالات الافلاس أو على الأمجاد الغابرة؟

أولا، بسبب المعوقات التحليلية التي لها أثر رجعي. وقد استولت جهات فاعلة لها أفكار متباينة على حركات اجتماعية معقدة تُدفع للفناء وبالتالي تُختزل هذه الحركات في مخططات سياسية بسيطة أي أنها لا تقوم مقام المصدق الشعبي وهكذا يُحكم عليها بالنسيان والاستغلال. إذ تُشبه هذه الحركات العربات الجواله في المدينة التي نرصدها وتتوجس منها لمدة معيّنة. أي أنها محكومة بمدة معينة وينجر عن الإقرار بالهزيمة استبعاد الروح الجماعية التي قامت عليها هذه الحركات. ومع ذلك، يمكن أن نرصد الآثار بوضوح أو بنظرة ثاقبة سواء تعلّق الأمر بالإضرابات أو المظاهرات أو أعمال الشغب. أحيانا تحدّ الجهات المعارضة لشكل المطالب من التأثيرات السياسية والثقافية والفردية وتأثيرات السيرة الذاتية ويستفاد المشاركون وحلفاء المحتجين من هذه التأثيرات أحيانا أخرى.

ستسوقنا هذه التأثيرات - لو أقحمتها في التحليل - إلى خطابات هجينة تتراوح بين العلم واتخاذ القرار. في الواقع، يتم التفكير في الحركات الاحتجاجية بطريقة عقلانية إذا ما تم التشكيك في المحفزات الداخلية وفي تلقيها وحتى في طريقة اشراف السياسيين عليها. لا يمكن تحليل الحركات الاجتماعية دون إدراج ذاتية الجهات المعنّية والمراقبين. غالبا ما نتوصل إلى نتائج متباينة جدا. إذا كان التحليل على عجلة فهو يفضي إلى نتائج خاطئة، فإن التباعد يظل فخا¹ وهكذا تغدو مناقشة فكرة الاحتجاج بأبعادها المختلفة تحديا ورهانا. وفي خضم ما يشهده الوضع الراهن من صراعات داخلية وتيارات شعبية ستمثل المهمة المُراداة في مناقشة مسارات الحركات بناءً على شخصيات المتظاهرين وأشكال مطالبهم المتباينة في الصياغة. ماهي تجليات أشكال الاحتجاجات المختلفة وكيف تُفرز المطالب المُصاغة وكيف يُوصف التعاطي الإعلامي والسياسي مع الأحداث؟ هل تواجه بعض الحركات الاجتماعية أقدارا محتومة سترمي بها في غياهب النسيان؟ وكيف للجماعات الفاعلة أن تتواجه وتتفاوض على أماكن الاحتجاجات والحال أنها ليست على نفس الشاكلة؟ فيصبح

بارجام وسيرج وساندرين روي. "التحقيق" الفوري" في الحركات الاجتماعية. مقدمة. "علم الاجتماع"، 11، عدد 3 (2020) : 243. ¹ <https://doi.org/10.3917/socio.113.0243>

حري علينا أن نفكر في الأحداث التي وقعت في سياق معين في تونس وسيعنى هذا النص بالحركة الاجتماعية في شتاء 2021 في تونس.

اتسمت موجة المطالب الاجتماعية والسياسية التي تدفق في منتصف شهر جانفي بأشكالها المتباعدة فتمثلت في أعمال شغب تخريبية في الليل ومظاهرات في النهار يُزعم أنها سلمية وتزامنت هذه الأحداث مع الذكرى العاشرة للثورة التونسية في شتاء 2010-2011 في سياق لم يحذق فيه المسؤولون التعامل مع الأزمة الوبائية وشهد خلاله الاقتصاد ركودا كبيرا أثر على شريحة كبيرة من الشعب، فضلا عن أزمات الحوكمة في البلاد. وكانت صياغة المطالب مختلفة باختلاف الفاعلين وتباين دوافعهم². فيُفصح النوع الأول من المتظاهرين عن مطالب اقتصادية واجتماعية بالأساس وينتهج النوع الثاني أساليب النضال المتشعب الذي يشمل المطالب المتعلقة بالهوية والحريات الفردية. واختصت هذه الأحداث بوجود هوة بين أشكال المطالب المختلفة وتراوح بين العنف والسلم وهي مشحونة بعوامل مختلفة. مما جعل التعاطي الإعلامي والسياسي مع هذه الأحداث مُختلفا، أي أنه يتسم بنوع من "الانضباط الأخلاقي" الذي يرتب الفاعلين ترتيبا تسلسليا ويشجب أصواتهم المتضاربة. وكانت التحاليل في وسائل التواصل الاجتماعي متباينة أيضا، حيث عجت بموجات التشهير والتكذيب كي تطعن في أداء الشقين. وُظفت تجارب الفاعلين المتواصلة والمتقطعة للإشادة بتناقض أدائهم مقابل تشابه فحوى المطالب نسبيا. وبالتالي تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات، فكيف يُرصد تعارض المُشاغبين والمتظاهرين "السلميين"؟ وما هو رجوع صدى الإعلام والسياسة فيم يخص هذه الأحداث؟ وكيف يمكن أن نصف أداء المعارضين ونمط عيشهم؟ وكيف تحدد التصفيات وعمليات الفرز "الأخلاقي" لهذه المطالب؟

يهدف النص إلى الإجابة عن هذه التساؤلات. وسنتبين بالرجوع إلى الأحداث الاحتجاجية في شتاء 2021 كيف لأعمال الشغب في الليل والمظاهرات في النهار أن تتجمع في سياق يضحّ بالخلافات السياسية الخارجية والاجتماعية والانقسام في المشهد الإعلامي. وبالتالي ستكون المسألة مسألة قراءة للأحداث بناءً على الصراع الداخلي القائم بين المشاغبين والمتظاهرين السلميين وشخصياتهم المختلفة حول كيفية تفسير الصراعات

² ابن أخ إريك. علم اجتماع الحركات الاجتماعية. باريس: الاكتشاف ، 2019.

التي تُلازم الحركة الاجتماعية منذ نشأتها إلى أن يبهت بريقها وتفتنى. يُفضى هذا السؤال إلى الحديث عن الاعتبارات المنهجية المحددة للدراسة الحالية.

II. الاعتبارات المنهجية

يحتكم هذا المقال إلى بحث تم انجازه أثناء الفترة التي وقعت فيها هذه الأحداث، أي في جانفي وفيفري سنة 2021. لذلك أُجري عمل إثنوغرافي³ على عين المكان تم استكماله بإثنوغرافيا نوعية لوسائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك وأستغرام) كما تم استخدام المعطيات النوعية المكتوبة والمرئية ونذكر على سبيل المثال: الشعارات والأغاني والمقابلات الإعلامية، إلخ. بغية تفسير الظواهر التي تم تحليلها. ما إن تم تكوين متن البيانات، نمر إلى تحليل محتواها تحليلا موضوعيا. وتتناول الموضوعات الرئيسية سجلات مختلفة تتراوح بين التوترات الداخلية والغضب الجماعي والإرادة التشاركية والأحكام الأخلاقية والاستخفاف والرفض إلخ.

أسهمت هذه العناصر التي لا تتكرر دائما في رسم مخططات تفسيرية لهذه الأحداث. ومن أهداف هذه الدراسة فهم البعد الأدائي والاستطرادي لهذه الدراسة، لذا يكون لزاما علينا أن ندرس أعمال الأعمال الشغب "المُخرّبة" والتجمعات السلمية" التي تحدث خلال هذه الضائقة الخاصة والمهمة. وبالتالي تم استيعاب هذه المعطيات باعتماد "السرد المركب" أي عبر سرد رواية واحدة تكون معلوماتها مستسقاة من مصادر متعددة⁴ ورغم أن هذا النهج نادر إلا أنه كان ناجعا لسرد المعطيات المتشابكة بطريقة سرية ودون ذكر أسماء⁵.

إذ، لا يبدو التصنيف الموحد قادرا على التعويل على هذه المعطيات بشكل رسمي ومنه أصبحت صناعة⁶ الشخصيات التي تجسّد العديد من المعطيات المستخلصة من الدراسة المنهجية للناس والثقافات

³ جويت وجوزيان وكورالي لو كاروف. "الفصل 7 - الملاحظة الإثنوغرافية على الإنترنت"، دليل تحليل الويب باللغة. علوم إنسانية واجتماعية . تحت إشراف باراتس كريستين. أرماند كولين ، 2013 ، ص. 147-165

⁴ ويليس ، ريببكا. "استخدام السرد المركب لعرض نتائج المقابلة." البحث النوعي ، المجلد. 19 ، لا. 4 أوت 2019، ص 471-480 ، 10.1177 / 1468794118787711

⁵ بايبر وهيدر وبات سايكس. "جميع المعلمين معرضون للخطر ولكن المعلمين المثليين على وجه الخصوص: استخدام القصص المركبة حماية المشاركين في البحث في التلميذ - المعلم البحثي المتعلق بالجنس." الاستفسار النوعي 16 ، لا. 7 (2010): 566-74.

<https://doi.org/10.1177/1077800410371923>

⁶ ماركهام ، أنيت. "التصنيع كممارسة أخلاقية." المعلومات والاتصالات & أمبير ؛ المجتمع 15 ، لا. 3 (2012): 334-53

<https://doi.org/10.1080/1369118x.2011.641993>

ومن المقابلات أمرا ضروريا. تمت مناقشة أداء المشاغبين والمتظاهرين كشخصيتين متميزتين تتعارضان أحيانا ولكن تتحاوران وهما شخصية المشاغب وشخصية المتظاهر. ومنه أفضى السرد المركب إلى التفكير النقدي في الحقائق المعقدة والمتداخلة مع الالتزام بسرية المصادر.

III. مسار تونس المحتجة

لطالما كانت فكرة الاحتجاج فعلا متعمداً وهو من أفعال المعارضة التي تتصدى لكل باغ وارتبطت هذه الاحتجاجات أحيانا بالنضالات من أجل الكرامة والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والاستقلال والافراجات إلخ.. وتخلق رغبة سياسية في النضال عن طريق المشاغبين أو المتظاهرين السلميين. وفي الواقع، غالبا ما كان الفضاء العام مكانا للنضال والمقاومة في حين يُجرى الحكم في أماكن مغلقة.. نسجل في عهد الرئيس الراحل بورقيبة عمليتين احتجاجيتين رئيسيتين: "الخميس الأسود" و "أحداث الخبز". اندلعت أول احتجاجات "الخميس الأسود" في نهاية شهر جانفي سنة 1978 وقد قادها نقابيو الاتحاد العام التونسي للشغل وأضحت الاضرابات أعمالا تخريبية وأسفر هذا الشغب عن مقتل حوالي 50 شخصا حسب الخطابات الرسمية وأكثر من 500 قتيل حسب الرابطة التونسية لحقوق الإنسان وكان الرئيس الذي تولى مقاليد الحكم بعد بورقيبة و"المخلوع" في ثورة الشتاء سنة 2010-2011 زين العابدين بن علي قائدا للقمع. وكانت هذه الأحداث تعارض بشدة محسوبية الدولة والفساد وما آلت إليه البلاد⁷.

في 31 ديسمبر سنة 1983 ترقب عن قانون المالية الذي قدمه محمد المزالي اجراءات تقشفية وذلك بعد التفاوض مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي. ووفقا لهذا القانون يتعين أن ترتفع أسعار منتجات الحبوب كثيرا⁸. وبناءً على ما تقدم، دبت أهم الأعمال التخريبية منذ الاستقلال واختصت هذه الحركات التي أُطلق عليها اسم "أحداث الخبز" بالقمع البوليسي الذي يمارسه النظام بشدة. فغضب التونسيون من الاجراءات التي تم اتخاذها فكانت بعض البطون خاوية في حين كانت بعض البطون الأخرى ممتلئة فضلا عن معضلة البطالة، إلخ.

⁷ روليندي ومارجريت وديديه لو ساوت. يحاول. في أعمال الشغب والحركات الاجتماعية في المغرب العربي: منظور مقارن: ندوة، جامعة باريس 8 و 23 و 24 أكتوبر 1998. باريس: طبعة. كارتالا، 1999.
⁸ بين 70% و 108%

وتم رصد أعمال شغب بدأت في منطقة قفصة وامتدت إلى مدن أخرى وصولاً إلى العاصمة وقد خلّفت مائة قتيل⁹ وتحجّبت وسائل الإعلام الوطنية والدولية بأن الاحتجاجات عنيفة وفوضوية لتدعم القمع ولتسبغ الشغب والمشاعبين بأوصاف تتعلق بـ "الفضاضة" المزعومة. كما تم استعمال هذه الكلمات أيضاً: "الفوضى"، "المتاعب"، "اللصوص"، "التخريب"، "لا يمكن تفسيره"، "الهيجان"، "المنتشون من الانتقام"، "العصابة"، "المحبطون"، "الحساد"، "الاستفزاز من قبل السلفيين"¹⁰.

يحفّل تاريخ البلاد بالعديد من الاحتجاجات فليست هذه الأحداث فريدة من نوعها وإن كانت بأشكال مختلفة عن الأحداث القديمة وواصلت الاحتجاجات مسيرتها في مواجهة القمع منفصلة عن أسطورة "التونسنة" والاستثناء وكان بعضها مرثياً وناجحا والبعض الآخر متبدا دون ترك أي أثر بسبب الجور الذي يذكي نيران العنف. ومن بين عملية التعبئة ما قبل الثورة نذكر، انتفاضة الحوض المنجمي سنة 2008 وهي مهمة جدا. بدأت الأعمال التخريبية بعد نتائج مناظرة الالتحاق بشركة فسفاط قفصة، إذ، نظم المتساكنون احتجاجات دامت عدة أشهر عند شعورهم بالإقصاء وكأن وعود التنمية لا تشملهم وتم "إنهاء" مقضية قفصة عبر الاعتقالات وادانة المتظاهرين بتسليط أحكام قاسية عليهم وبالوفيات¹¹ وتعيين أكباش فداء. واندلعت احتجاجات أخرى مجزأة ومتفرقة. وكان لا بد لهذه الحركات أن تنتظر ثورة 2010-2011 لتتحول إلى ثورة معممة¹². وبالفعل، تمت الإطاحة بين علي عقب الموجات الاحتجاجية¹³، حيث "اشتعلت" الأحياء.

تميّز الوضع الثوري في تونس الممتد من 27 ديسمبر إلى غاية 14 جانفي بحركتين: المظاهرات في الشوارع الرئيسية نهاراً وأعمال الشغب في الأحياء الشعبية ليلاً¹⁴. ورغم اختلاف الفاعلين، تظل الرغبة في التحرر من أغلال الخوف تجمعهم وتحققت هذه الرغبة بالاستيلاء على المدينة. ولكن الاحتجاجات لم ينته أمرها

⁹ ستورا وبنيامين وأكرم الياس. "أحداث الخبز. (تونس، يناير 1984)"، 100 بوابة المغرب العربي. الجزائر، المغرب، تونس، ثلاث طرق فريدة للجمع بين الإسلام والحداثة، تحت إشراف ستورا وبنيامين، إلياس أكرم. دار النشر، 1999، صص. 151-153.

أرشيفات RTS. أحداث الخبز، 3 مايو 1984، <https://www.rts.ch/archives/tv/information/3475940-les-emeutes-du-pain.html>

¹⁰ زعم بن علي، خلال اجتماع استثنائي تناول "مشاكل منطقة التعدين"، أن مسؤولي شركة فوسفات قفصة مسؤولون عن "مخالفات" في عملية التوظيف. تم استبدال محافظ قفصة وعزل نائب محافظ الرديف

¹² أمين علال، "الإصلاحات النيوليبرالية والمحسوبية والاحتجاجات في المواقف الاستبدادية: الحركات الاحتجاجية في حوض قفصة المنجمي (2008)"، بوليتيك أفريكان، 117، 2010، ص. 107-125.

¹³ حميد شكري. "شبكات النوم والطوارئ والهياكل. نشأة الثورة التونسية"، المجلة الفرنسية للعلوم السياسية، المجلد. 62، لا. 5-6، 2012، ص. 797-820.

¹⁴ المرجع نفسه

بعد ، بل لازالت نبض السياسة في تونس وتعود الاحتجاجات بصفة دورية وتوصف بأنها " متفجرات اجتماعية" وكانت تمثل أحيانا الاحباط بسبب الأوهام وأحيانا أخرى أو الانصياع لأمر السلطة في حالة وجود خطر محقق وكل هذه الأشياء يتم توريثها من جيل إلى آخر. ما انفكت الممارسات القمعية والاجراءات العامة تحدث جلبة في الحياة اليومية في تونس وبالفعل اتصفت بعض الحركات بالعنف وعدم التفهم ودرء العنف في آن واحد. ولا يمكن لهذه الحركات إلا أن تكرر نفسها إلى أجل غير مسمى أمام هذا القهر . ويمكن تفادي الاحتجاجات التي اندلعت ضد قانون الملية لعام 2018 عبر مناقشة أحداث شتاء 2021. واقتزنت هذه الأحداث التي بدأت في طبربة (منوبة) باشتباكات عنيفة وتوترات عنيفة مع الشرطة. و قد نفت وزارة الداخلية التونسية أسباب وفاة أحد المتظاهرين¹⁵ أثناء التشاجر مع الشرطة.

وقال رئيس الحكومة في هذا الصدد: " لم نشاهد احتجاجات بل شاهدنا أشخاصا يكسرون وينهبون ويعتدون على التونسيين. " فضلا عن ذلك صرّح المتحدث باسم وزارة الداخلية خليفة شيباني " : تختفي هذه الجماعات نهارا وتعود من جديد ليلا". و مهما كانت الحركات غير ملتزمة بالإطار المعياري المألوف¹⁶، تتواصل إصابة السياسيين بعمى الألوان. ومع ذلك انتهت أعمال الشغب في اليوم الرابع وتم توقيف مئات الأشخاص وحلت مسيرة سلمية محلّ الأعمال التخريبية منذ 13 جانفي. واندلعت احتجاجات أخرى بعد ذلك رغم تفشي وباء كوفيد -19 في البلاد وغلبة الخطابات الشعبية التي كانت قادرة على تسكين الحنق وكبح لجام الغضب نسبيا. وتم توثيق الاحتجاجات التي تخص اتاحة المياه ونقص المواد الغذائية والتضخم واحتجاجات الكامور واضرابات ممثلي الهيئة المهنية. واصل السكان المحرومون المطالبة بحقوقهم واستنكروا صنيع الظلام. وبالتالي تظل خارطة الاحتجاج الاجتماعي حيوية ومتغيرة. وما انفكت الانقسامات تتربص بها من الداخل ومن الخارج. وستتم مناقشة أحداث شتاء سنة 2021 انطلاقا من مبدأ الاستمرارية وتسلسل الحركات الاحتجاجية.

IV. سياق أحداث شتاء 2021

¹⁵ توفي خمسي بن صادق البفرنسي مساء يوم الاثنين 8 يناير 2018.

¹⁶ موزايك FM. شيباني: اعتقال عدد من المنحرفين في المناطق ، 9 يناير 2018 ، <https://www.mosaiquefm.net/fr/actualite-national-tunisie/268333/chibani-Arrest-de-plusieurs-casseurs-dans-les-regions>

انطلاقاً من 14 جانفي 2021 أي الذكرى العاشرة للثورة التونسية ، تم تداول مقاطع فيديو وصور عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهي فايسبوك وتويتر تحت علامة : " كلنا راعي سليانة"¹⁷ في حقيقة الأمر ، تعرّض عبد الرحمان عثمانى أو المسمى ب"راعي سليانة"¹⁸ للمهانة ، إذ فقد السيطرة على خرفانه التي خرجت في غفلة منه وكان قد أخذ منه التعب فاستسلم للنوم ، واتجهت الخرفان إلى البلدية المجاورة للمرعى المعتاد لترعى وفقاً للفيديو الذي تم تداوله على الفايسبوك ولأقوال الشهود ، فتهجم عون بلدية على هذا الراعي وعنفه وأهانته بتعلّة اهماله للخرفان . فعَمّ السخط بعد مشاهدة هذا المقطع وتسبب في أولى الأعمال التخريبية الليلية في سليانة وتم تخريب المسكن العائلي للعون البلدي وكأنّ الناس يشبهون الراعي بمحمد البوعزيزي وعدّ بعض مستخدمي الانترنت وبعض قادة الرأي هذا الراعي الرمز الجديد¹⁹ لثورة ناشئة. وتبين هذه الجملة التأمّل في حدوث ثورة جديدة بسبب انتقام مضطهدٍ "محقور" وأبلغت جهات فاعلة عديدة عن فرضية ارتباط أعمال الشغب بحادثة الراعي وتعرضه للمهانة . ارتبطت فرضيات بداية الأعمال التخريبية واهانة الراعي وفضلاً عن ذلك ، تم اعتقال مجموعة من مؤيدي فريق رياضي معروف (النادي الإفريقي) والإعلان عن حظر تجول لمدة أربعة أيام (من 14 جانفي إلى 19 جانفي) ولم يزد المواطنين إلا احتقاناً وسخطاً. انتشرت الأعمال التخريبية في العديد من الأحياء وفي العاصمة وفي الجهات واستمرت من 15 جانفي إلى 25 جانفي سنة 2021 وتعلق ذلك بعدد كبير من الاحتجاجات وفي جانفي تم توثيق 1492 حركة احتجاجية مقارنة بـ 1136 حركة احتجاجية سنة 2020 و1218 سنة 2022. وكانت المطالب الاجتماعية والاقتصادية في طليعة الادعاءات السياسية. وكان القُصر في الصفوف الأمامية. لئن كانت الاحتجاجات باهرة، لم تلتفت لها أنظار السياسيين الذين عمت بصيرتهم وظلت السياسات قمعية كما عهدناها قبل الثورة وبعد ذلك انتشر الخطاب التأمري وتم وصم المعارضين ونعتهم بالمجرمين والمتآمرين . وإجابة على ذلك، كان الحكام يمارسون العنف البوليسي والتوقيفات بالآلاف.. وانجر عن الغضب الشعبي وردة فعل الحكام الافصاح عن المطالب بطريقة غير منظمة وتجاوزت الاحتجاجات نسبة 84 % في شهر جانفي²⁰. وفي هذا الصدد، قال المتحدث باسم وزارة الداخلية خلال هذه الأحداث إن

¹⁷ كلنا راعي سليانة#

¹⁸ سليانا هي منطقة غير متطورة في شمال غرب تونس.

¹⁹ « انتهت ثورة عربة اليد ، وبدأت ثورة <https://www.facebook.com/hamdi.aloui.300/videos/1269496116761564> : »

الراعي. «

²⁰ المرصد الاجتماعي التونسي. تقرير جانفي 2021 ، FTDES ، العدد 88 ، <https://ftdes.net/rapports/fr.janvier2021.pdf>

أحداث العنف لا تمت للحركات الاحتجاجية التي يضمنها القانون والدستور بصلة. إذ من المفترض أن تتم المطالبات في النهار دون ارتكاب أفعال إجرامية. فهذه ليست مظاهرات وإنما أفعال تخريبية²¹. لم تهدأ موجة الاحتجاجات خلال شهر فيفري. إذ تم الإبلاغ عن 1235 احتجاجًا، مقارنة بـ 705 في عام 2020 و 1235 في عام 2022. وكانت الجهات الفاعلة التي شاركت في هذه الاحتجاجات غير معتادة على ذلك. أفضى حراك "الجيل الخاطئ" والنشطاء المطالبين بتسريع استخدام القنب الهندي والاحتجاج على القانون 52 إلى تساؤلات عديدة تتعلق بـ "الأخلاق" وترتبط بطريقة احتجاجهم "غير المعيارية". عُومل النشطاء السياسيون معاملة سيئة من قبل رجال الشرطة كالإيقاف والمضايقات والافتراء علنا على صفحات اتحاد الشرطة ووصمها من قبل الجمهور. رغم الحضور المحتشم للمناضلين المألوفين، إلا أن العديد من منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية أبدت مساندتها للحركة الشعبية. وكانوا قد دعوا مؤيديهم وأعضائهم للمشاركة في المظاهرات في النهار²². ومع ذلك، فإن الاحتجاجات "التلقائية" التي مثلت 67.2% من مجمل الاحتجاجات²³ خلال شهر فبراير، مقابل عدد من الاحتجاجات المقررة والمُعلنة مسبقًا. كانت هذه الأشهر من العام 2021 استثنائية بسبب تنوع الفاعلين الذين تبدّلوا خلال الأحداث وبسبب الانقسامات، سواء في التصور الخارجي لمعنى الأحداث ورموز الفاعلين، أو في النزاعات الداخلية التي رافقت هذه الأحداث. وكان ينظر إلى أعمال الشغب على أنها خلل في التنظيم ودليل على العنف "غير الشرعي" بدلا من كونها وسيلة للتعبير عن المطالب الشرعية. واتسمت الأعمال التخريبية التي حدثت في شتاء 2021 بالإقصاء ألا وهو الدافع والرد وتمت تصفية هذه الأعمال "أخلاقيا" من قبل السياسيين والمعلقين، إذ ظهرت هذه الاحتجاجات في الليل وهي مهمّشة. وكانت المظاهرات في النهار مذهلة وذات صلة بالمطالب وبالإضافة إلى المطالب الاقتصادية ثمة مطالب تتعلق بالحقوق الفردية كالسماح باستعمال القنب الهندي وإلغاء تجريم المثلية الجنسية و رصد ظهور نشاط الفوضويين واليساريين والكويريين. وبالتالي، ظهرت ردود أفعال على وسائل التواصل الاجتماعي وعلناً. وتعرّض بعض النشطاء للإعتداء علنا وذلك

²¹ موزاييك اف ام الحيوني: الاضطرابات الليلية ليست مظاهرات، 18 جانفي 2021، <https://www.mosaiquefm.net/fr/actualite-national-tunisie/847003/hayouni-les-troubles-nocturnes-ne-sont-pas-des-demonstrations>

²² على سبيل المثال: الاتحاد العام التونسي للشغل (UGTT)، الاتحاد العام للطلاب التونسيين (UGET)، جمعية المحامين الشباب التونسيين، الحملة الوطنية لدعم النشاط الاجتماعي، جمعيات LGBT (دمج، موجودين، إلخ)، التيار الشعبي، الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان (LTDDH)، الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، تجمع الصمود، اتحاد الخريجين العاطلين عن العمل (UCD)، محامون بلا حدود، التجمع من أجل الحريات الفردية، جمعية بيتي، يوروميد للحقوق، الوطن (PPDU)، القطب، الحزب الاشتراكي، حزب البعث، إلخ.

²³ المرصد الاجتماعي التونسي. تقرير فبراير 2021، FTDES، العدد 89، <https://ftdes.net/rapports/fr.fevrier2021.pdf>

لمشاركتهم في التظاهرات وقد أدى نشر المعلومات الشخصية لهؤلاء النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي إلى تعريض حياتهم للخطر في سياق اجتماعي يعادي هوياتهم وينبذها ولم تطل هذه المنشورات والعنف المسلط في الفضاء العام المتفرجين في الأحداث فحسب ، فقد تفاعل الأشخاص الذين شاركوا في أعمال الشغب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والمنحدرين من أحياء شعبية في العاصمة وفي الضواحي المهمشة في تونس والذين وجدوا أنفسهم في نزاع على الأماكن العمومية واستنكروا وجود متظاهرين " غير مألوفين " .

وأن تكون " مُطاردا" في الفضاء العام كي تفسح المكان لمتظاهرين آخرين هو نتاج عوامل عديدة مثل خطاب المجتمع المدني المصبوغ بالتآمر وتدخّل السلطات (الإعلام والشرطة) . وشهدنا خلال هذه الأحداث تلاقي نضالات المجموعات المهمشة لأنها ذاقت الاضطهاد نفسه أي أنها تتشارك في العنف المسلط²⁴. في المقابل، كنا نتحدث عن تعبير الجماعات عن الكراهية والازدراء لبعضها البعض سواءً شاركت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في أعمال الشغب في الليل والمظاهرات في النهار. سنسعى فيما يلي، استنادا إلى مقالين قصيرين من الإثنوغرافيا إلى دراسة شخصية مثير الشغب وشخصية المتظاهر

.V لقاءات إثنوغرافية : المُشاعِب والمُتظاهِر

1. مثير الشغب في الليل

إن ردود الأفعال على أعمال الشغب الليلية في شتاء 2021 غير مسبوق في تاريخ تونس ولطالما كانت هذه الطريقة تُفهم على نحو سيء للغاية أو تُشجب للقدح في طبيعتها. تم التركيز الاندفاع الجماعي الذي اتسم بالعنف والافلات في خطابات السياسيين والجمهور سواءً كان الشخص مؤيدا أو مُعارضاً لأعمال الشغب. علاوة على ذلك ، إن غموض الأعمال التخريبية كانت طريقة مناسبة لتعريفها. في الواقع، يختلف تعريف فعل الشغب في الأدبيات العلمية وتداعياته السياسية. يري لابيروني أن الشغب عمل جماعي مهما جدا سياسيا و ذي منطق خاص ويكون العنف متأصلا في أي حركة اجتماعية²⁵ . في المقابل ، يعتبر سلافوي جيچيك أن " أصعب ما

²⁴ ياسمين بن عمار. نحو تلاقي النضالات؟ تحليل للحركة الاجتماعية لعام 2021 في تونس ، CAREP ، 19 مارس 2022 ، <https://www.carep-paris.org/publications/varia/papiers-de-recherche-varia/vers-une-convergence-des-luttes-an-analysis-of-the-social-movement-of-2021-in-tunisia>
²⁵ لابيروني ، ديبديه. "ثورة بدائية في الضواحي الفرنسية. مقال عن أعمال الشغب في خريف 2005" ، النيد والمجتمع ، المجلد. 30 ، لا. 4 ، 2006 ، ص. 448-431.

يمكن تقبله هو عدم وجود معنى لهذا الشغب"²⁶. وبالرجوع إلى -أعمال الشغب سنة 2005 في الضواحي الفرنسية ومقارنتها بأحداث ماي لسنة 1968 على طريقة لايبروني - يستحضر سلافوي جيبيك غياب المعنى والرؤية السياسية لأعمال الشغب، وبالتالي تختزل في مجرد كلمة سريعة الزولان وغير عقلانية. ومع ذلك، لا يمكن تفسير هذا الاندفاع عبر التقارير الجماعية لمؤسسات الدولة، وخاصة الشرطة وكثيرا ما تكون علاقة التونسيين برجال الشرطة متوترة وتسمى هذه العلاقة " الحاكم والمحكوم". منذ و قبل القمع في عهد بن علي متجسدا في "الشرطة السياسية" التابعة لأمن الدولة ويبدو ذلك في هذه الأيام في العنف الشديد المُسلَّط أثناء الاحتجاجات.

في الحقيقة، لايزال العنف البوليسي مكونا أساسيا في التجربة اليومية للناشطين وبالنسبة إلى السكان والشباب في المناطق المحيطة بالمدن والضواحي فيتولد الشعور بالحيث الذي يعتري الشباب التونسي المهمّش²⁷ والمُعَنَّف فينتج عن العنف شعور معيّن ينتاب المعنّف ومنه تتزايد ردات الفعل الشعبية العنيفة . وفي أحداث الشغب سنة 2021، عبّر المضطهدون الذين ذاقوا المهانة والتهميش النظامي عن سخطهم من خلال النهب والتخريب وتدمير رموز المؤسسات العمومية . وبطبيعة الحال، إن العيش في مجتمع تحكم الرأسمالية يؤثر على طريقة صياغة المطالب كثيرا. ويستهلك منقذو الأعمال التخريبية بالطريقة المتاحة فيفتكّون عنوة ما سلبه المجتمع بديناميكياته الاستهلاكية. وتزامن الانخفاض في القدرة الشرائية مع هذه الأحداث مما تسبب في الشعور بالإحباط والعجز²⁸ . كما ترتب عن الحرمان مقاومة عنيفة للنقص تجسدت في الاستهلاك غير القانوني للبضائع التي أصبحت غير متاحة وتعرضت علامات تجارية معيّنة مثل سلسلة مغازات عزيزة للإعتداء لأنها توجد في أحياء مهمّشة ولأن الشكوك تحوم حول نزاهة أصحابها. وأشفت هذه الأعمال التخريبية غليل المضطهدين وسنحت لمنفذيها بالإعتداء على مؤسسات الجور والحيث ماديا ورمزيا. وتم تسليط القمع البوليسي على منفذي الأعمال التخريبية، وتجسّد ذلك في الموت²⁹ أو فقدان حاسة السمع³⁰ أو الضربات أو الكسور أو الصدمات النفسية أو الاختطاف. تتكون علاقة بين المشاغب والعنف، فهو من ناحية

²⁶ زيّك ، سلافوي. العنف: ستة انعكاسات مستعرضة. إلى ديابل فوفار ، 2012، ص106 .

²⁷ مليتي و عماد و حياة موسى. عندما يتحدث الشباب عن الظلم: التجارب والسجلات والكلمات في تونس ، إصدارات لهرمتان ، 2018.

²⁸ راي ، ل. العار والمدينة - "النهب" ، العواطف والبنية الاجتماعية. المراجعة الاجتماعية ، 62 (1) ، 117-136 ، 2014.

²⁹ مثل حالة هيكل الراشدي ، من مدينة سبيلا (القصرين) في 24 يناير 2021.

³⁰ مثل قضية شاب من محافظة الكاف.

يمارس الشغب -العنف- تعبيرا عن رفضه للتهميش والعنف المؤسسي ومن ناحية أخرى، فإن شيطنة أفعاله العنيفة تُخبرنا عن معاناته مع العنف حسب رأي الجمهور. يُفصح منفذ الأعمال التخريبية سواءً كان مقنعا أو مكشوف الوجه عن دوافع إقدامه على التخريب:" بعد عقد من اندلاع الثورة، تبددت آمال الشعب وأحدث الشعور ب"اختلاس" الثورة من قبل الاسلاميين والسياسيين حنقا ورغبة في الانتقام شديدين وهما ردود الفعل الرئيسية. أوجد الإحساس بالضيق والفدّة أعمال الشغب أيضا، فضلا عن المهانة و الحقرة و " دوس الكرامة". كما تم تسليط الضوء على العوامل الاقتصادية والفقر.

عمّقت جائحة كوفيد التفاوتات الاجتماعية فتفاقت البطالة والفقر. علاوة على ذلك، من أسباب الشغب قصور الاجراءات الحكومية فنذكر على سبيل المثال حظر التجول الذي تم فرضه على العمال في حين تواصل المتاجر الكبرى عملها دون انقطاع وهكذا يُلقى بصغار التجار في عَور الإفلاس. يفسر هذا العنف الملحوظ التخريب والنهب وتدمير الممتلكات. دبّت أعمال الشغب في مناطق محدودة، ولكنها سرعان ما سرت في العديد من المناطق المنفصلة جغرافيا في تونس أيان حدثت في نفس الوقت وبالتالي تتحدّث عن " عملية تماثل جماعي"³¹ بين المضطهدين تُفسّر تلاقي مطالب المشاغبين.

لا يرفع منفذو أعمال الشغب لافتات تحمل شعارات ولكنهم يختصّون بشعارات مختلفة عن الشعارات التي تُرفع خلال المظاهرات في النهار. وتتعلق أساسا بأغاني الفرق الرياضية التونسية وراياتها كالنادي الإفريقي والترجي الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي³². تتراوح موضوعات هذه "الشعارات" بين الفساد والاستياء من معاملات الشرطة واستنكار الازدراء الطبقي والتهميش وتكريم ضحايا البلاد وتشويه صمعة "النخب السياسية"، إلخ.. يترفع منفذ الأعمال التخريبية عن التصريحات المهينة لشخصه قائلا:" لا يوجد وقت محدد للثورة فهي تحدث في الليل كما عهدناها." تظل أعمال الشغب وسيلة للتعبير عن المطالب واعتبار الليل فضاء للمطالبة.

³¹ موشيلي، لوران، "أعمال شغب"، سنس ديسو، 11، 2013، ص. 12
³² مثال على الأغاني المكررة: تونس باي باي لافولتشي دالمنتي (EST)، باحياتنا (CA)، (ESS) كورتاج الموت.

2. المتظاهر والنهار

كانت التجمعات في النهار تمتاز بالحضور الجسدي والتمثيلي لفريق من الناس وبالتالي فهي "تنقل جماعي منظم على الطريق العام بغية إحداث وقع سياسي من خلال التعبير السلمي عن رأي أو مطلب معيّن"³³ وأقيمت هذه التظاهرات في المكان العام، خاصة أين تقع مؤسسات السلطة. كانت الوجهة المفضّلة للمتظاهرين هي شارع حبيب بورقيبة نظرا لرمزيته الثورية المهمة. كما مضى الناس للتظاهر في باردو، بعد الخلافات البرلمانية التي حدثت في عام 2021. يدأب المتظاهر إلى احتلال أماكن السلطة وتقديم مطالبه هناك ولا يعيرونهم القادة اهتماما، بل يعجزون عن التمييز بين مساعي المشاغبين ومساعي المتظاهرين السلميين. وبحكم الأمر الواقع، تم تسييس هذه المطالب رسميا لأن " مشاركة الدعاية {الدعوة للتظاهر} ينجر عنها التسييس لأنها وسيلة مباشرة أو غير مباشرة ليدلو بدلوه في هذه السياسة العامة أو تلك."³⁴ . إذا، تكون احتجاجات المتظاهرين وسيلة مُدْمَرة للتعبير السياسي وتتعارض مع طريقة التصويت والبرلمان. ومع ذلك ، لا تزال المظاهرات مختلفة عن أعمال الشغب ونخب ذلك بناءً على وسائل التنظيم المعتمدة والدعم الذي تقدّمه الأحزاب السياسية والنقابات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية الاستفادة من مثل هذه الأحداث . وفي هذا السياق ، تؤكد دانييل تارتاكوفسكي قائلة: " مهما كانت المظاهرة عنيفة، تظل تجسيدا لما تبطنه من اعتراف ضمني بالقوانين وهو نتاج قرون من العلاقات المعقّدة بين الشارع والدولة."³⁵

تكون المظاهرات بين التطرّف وتملّك الرموز وطالت المطالب التي أبداه المتظاهرون مستويات عديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية. وتثير هذه الشعارات مواضيعا عديدة وتطعن أحيانا في العنف المسلّط³⁶ من قبل الشرطة وتدعو إلى الإفراج³⁷ عن المعتقلين وأحيانا أخرى تُنصّب نفسها جلادا للحقرة والتهميش في الأحياء الشعبية أو تعبر عن مواقف معادية للأحزاب والحكومة أو تطالب بما يسمى ب "الحرّيات الشخصية". كانت الشعارات التي رفعت في الرايات أو الافتات توحى بالتحكم وفيها إبداع شبه اعتيادي كما

³³ فافر ، ب. التظاهر في فرنسا اليوم. في المرجع نفسه ، المظهر. باريس: FNSP ، 1990 ، ص. 15.

³⁴ م ، أرفيفيرلي. علم اجتماع جماعات المصالح. باريس: مونكريستين ، 1994 ، ص. 114

³⁵ تارتاكوفسكي ، السلطة في الشارع ، باريس ، أوبر ، 1998 ، ص. 210.

³⁶ "اتحادات الشرطة ، العشائر الإجرامية" ، "لا الشرطة ولا الإسلاميون ، الشعب يريد ثورة"

³⁷ "الحرية للأطفال من أحياء الطبقة العاملة" ، "نطالب بالإفراج عن جميع المعتقلين من الحركة الاجتماعية" ، "الحرية لجميع المعتقلين الذين لا نعرفهم" ، إلخ.

رفعت لافتات تدعو إلى عروض دروس مكثفة في اللغة العربية "التضامن 5 نجوم ، لو شلاكة الحقار" ردا على أقوال رفيق بن عبد السلام بن شلاكة الذي احتقر هذا الحي بالتحديد وتواصل المتظاهر بطريقة مباشرة مع الشخصيات السياسية والنقابة التي تناهت عن حقوق رجال الأمن وتكروا وحملوا أعلام الفخر.

وتقطع هذه الأحداث مع التاريخ إذ اخترقت الأقليات هذه المظاهرات و يدل ذلك عن الرغبة الملحة لتقابل النضالات وخلق قاعدة مشتركة ومستقلة ترضاهها هذه الفئة وهي بعيد كل البعد عن ما تمليه السياسة والنقابات³⁸. علاوة على ذلك، ظهر "حماس منتشي" كما وصفه كارل ماركس أثناء التظاهر وتم ذلك بالاقتراب من المتظاهرين الذين يصفون أسباب احتشادهم وكان الحديث عن "الجيل الخطأ" الذي يمضي في تغيير أساليب الاحتجاج قائما أيضا. لقد تمت استعارت شعار " تحت الزليز برشا تكريز" من حركات أخرى³⁹ من عالم الثورة المعولمة كالحركات الطلابية في ماي 1968 وحركات السترات الصفراء، إلخ...لقد هيمنت هذه العبارات وغيرها من العبارات الأخرى على توقيت الأحداث والمكان العام والمجال البصري. على غرار أعمال الشغب⁴⁰، تجسّم المتظاهرون القمع البوليسي. إذ ، استخدم رجال الشرطة خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع والهراوات أثناء الاحتجاجات لتفرقة المتظاهرين وإخفائهم وتم رصد الرغبة في معاقبة "الجيل الخطأ" وإن نشر صور المتظاهرين والتحريض على تعنيفهم يبيّن أن المجتمع ينتهج " عدم التسامح الانتقائي" فيم يخص تنفيذ العقوبات. يتشكّل نوع من الشعبوية العقابية بسبب تهويل الموقف وممارسة السلطة لنفوذها ل «مقاومة» المعارضين وتتغذى الشعبوية العقابية على العوامل السلبية إزاء المعارضين غير الممثلين. وبالتالي، تكون ملامح منفّذي الشغب والمتظاهرين مختلفة، بيد أنها مترابطة ومرتبطة ببعضها البعض، حيث تُستباح تسمية مثير الشغب متآمرا وجانحا ونعت المتظاهر بعميل وغير ناضج. ذهب جهاز الشرطة والجمهور إلى معاملة النوعين معاملة قمعية. ومع ذلك، أطبقت الانقسامات قبضتها عليهما . وأرادت

³⁸ بروفوست ، جينيفيف. "نقد في قانون الحياة اليومية في زاد من نوتر دام." بوليتيكس رقم 117 ، لا. 1 (2017): 35.

<https://doi.org/10.3917/pox.117.0035>

³⁹ كوكوريف ، ميشيل. "" على الرصيف، الغضب": آراء إثنوغرافية حول تسلسل الاحتجاج من 2016 إلى 2020" ، سوسولوجيا، المجلد. 11 ، لا. 3 ، (2020) ، ص. 315-324.

⁴⁰ النقطة. تونس: منظمات غير حكومية تدين "قمع" الشرطة ، 16 جانفي 2021 ، https://www.lepoint.fr/monde/tunisie-des-ong-dennoncent-une-repression-policiere-16-01-2022-2460626_24.php

الاشتباكات التي وقعت تعزير صورة "عشيرتين" متعارضتين. وبناءً عليه، انقسمت المطالب المتشابهة في المحتوى إلى شطرين رغم الاختلاف في الأداء.

VI. المواجهة بين أعمال الشغب والمظاهرات

إن حالة الاحتقان على الطرقات تدلّ أيضاً على عدم الراحة، سواءً تعلّق الأمر بطريقة عيش المعارضين أو تمثيلاتهم. أثناء هذه الأحداث، اشتدّ التنافر بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمشاعبين والمتظاهرين والأشكال العنيفة التي تتخذها مطالب المشاعبين ورمزية التعبئة الليلية والنهارية وأن تكون بعض المظاهرات لأقلية من المتظاهرين وهدامة، إلخ. وتعمّق كل ذلك بسبب تعامل الشرطة مع هذه الاحتجاجات والاختلاف في ردات فعل الشرطة الذي تم رصده.

1. الفضاء العام: أيه؟ لمن؟

كانت وتيرة التعبئة متغيّرة بالنسبة إلى الفريقين: فكنت تشاهد أعمالاً تخريبية ليلية تحدث في الأحياء والمناطق السكنية المهمّشة أحيانا وترصد مظاهرات نهارية في أماكن مفتوحة بالقرب من مؤسسات السلطة. وهكذا يكون الفضاء العمومي الخاص بالنزاعات مقسّما وفقا للجهات الفاعلة التي تتسلل إليه وتتخذة مصدحا لأفكارها ومطالبها. وتم توثيق مساعي تملك المساحة والرغبة في خلق تقارب بين المطالب، حيث تم تسليط الضوء على الجانب الاقتصادي والاجتماعي. أبت بعض الفرق أن تقبل هذه المحاولات ولاحظنا وجود تفاوتات متكررة بين الأشخاص.

خلال يوم الثلاثاء 26 جانفي 2021، نظمت مجموعة من الأفراد المنحدرة من ضاحية من ضواحي العاصمة "حي التضامن" مظاهرة لمغادرة الحي والتوجه إلى باردو للتظاهر أمام البرلمان التونسي. طوّق رجال الشرطة الحي أين يوجد البرلمان ومنعت المتظاهرين من الولوج إلى المكان ولكن عددا مهما من المتظاهرين كان قد عبّأ المكان. وكانت هذه المظاهرة استثنائية لأنها جرت إثر تصريحات السياسيين الذين وصموا عنف المشاعبين وخلقوا علاقة بين العنف والانتماء إلى الأحياء الشعبية وكأنه حكر عليهم دون سواهم. وكانوا يصبون إلى انتزاع وصمة العار عن هوياتهم منددين سلميا بمطالب اجتماعية واقتصادية. ولازالت هياكل السلطة بها

صمم، فيم يتم فحص الهويات والتعرّف على مكان إقامة الأفراد الذين أرادوا العبور إلى الجهة الأخرى وهي طريق يعتمدها رجال السلطة للتصفية عن المراقبة. تمت المطالبة بالدخول إلى الفضاء العام أثناء الاحتجاجات ويتم رفض هذا المطلب وفقا لمظهر وهويات المطالبين. تتم معاملة الأفراد الذين يحاربون الحقرة والازدراء الاجتماعي بالطريقة التي يستقبحونها...فتكون ديناميكيات فتح وإغلاق بعض الفضاءات منطقية للغاية. فلما أغلق رجال الشرطة مداخل باردو ، شعر المستحقين آنذاك بأنه لا يحق لهم التظاهر في الشارع -عكس المواطنين الآخرين الذين رأوهم يتظاهرون - فشعروا أنهم لا يستحقون سوى مساحة واحدة وطريقة واحدة للتظاهر ألا وهي الأعمال التخريبية الليلية والمدمّرة. و في نفس السياق، قال رجل قد شارف على الثلاثين وهو يتأهب للعودة: "هم لا يرغبون في تواجدها هنا الآن، هم لا يجيدون اللطف أليس كذلك؟ لنا عدوة إذن في الليل." لذلك، فإن تناقضات الليل والنهار لا تحكمها الرغبات الشخصية والجماعية للأفراد فحسب، بل تحكمها الأوامر النظامية التي تعوّل عليها طقوس الاحتجاجات. يعود المتظاهرون الذين ينتمون إلى أحياء شبه حضرية ومهّمشة أدراجهم، بينما يندد المتظاهرون الذين نجحوا في المرور بمطالبهم.

2. صراعات الولاء وسرقة المطالب

لا يمكن أن يتم استبعاد أشخاص من الفضاء العام ولا يحركوا ساكنا. إذ أفرزت هذه الأحداث صراع ثقة لدى المجموعات المتظاهرين. ولا تمتدّ الأواصل الاجتماعية التي تمتاز ب"التوازن الأخلاقي بين مجموع الاستحقاقات والديون" بسلاسة وبسرعة. يغدو المتظاهرون مستائين بسبب المحاربة للوصول إلى الفضاء العام والطرده منه ، كما أن تمكّن آخرين من الاحتجاج والتهاتف تحقيقا لمآربهم ، يجعلهم محتالين فهم يسرقون مطالب من تغيّبوا على الساحة فيهتفون بمطالبهم على حساب مطالب غيرهم في الفضاء العمومي المناوىء. ومن المفارقات أن الفضاء في عيونهم بات مرتعا للدراما سريعة الزولان. ولئن رُفعت الشعارات لتواصل تكريم الشباب المعتقلين ولجعل الوضع الاجتماعي والاقتصادي مستتبين ، يظل غياب الجسد شاهدا على "الصراع على المكان" المستمر في إطار الأحداث الاحتجاجية. إن استمرار ممارسة الحقرة والتمييز بين المواطنين يجعلهم يفكرون في عدم التناصف فيم بينهم بسبب رأس مالهم الاجتماعي. فيحق للبعض التظاهر بالقرب

من هياكل السلطة ، بينما يمنع البعض الآخر من ذلك ويسلطون عليهم تهما لا ناقة لهم فيها ولا جمل ويتهمون بمضايقة رجال الشرطة .

حتى لو تحدّثنا عن نفس الدوافع في الليل وفي الضواحي السكانية الفضاء الحضري. ولئن أجمعت الفئتين على نفس الموقف إزاء سياسات الحكومة، فلا يتم توزيع الوظائف وتحديد الديون المتخلّدة على ذمة كلا الفريقين نفسها. إن الأشخاص المتواجدين في ساحة النضال والذين يسمون بـ "الشرعيين" هم ليسوا سوى يتملّكون الفضاء أي يسرقونه رمزيا لأولئك الذين كان يجدر أن يتواجدوا مكانهم لتبليغ مساعيهم. وينتج عن ذلك انقسام فتجد الشباب المنحدر من طبقات متوسطة أو حتى شعبية قليل الحيلة وغالبا ما يكون موصوما وتجد كذلك شبابا ومراهقين الذين يتمتعون برأس مال ناشط في مجال معين وتشغلهم الحقوق المتعلقة بمسألة الهوية فضلا عن المطالب الاجتماعية والاقتصادية. وبالتالي يتعارض كل فريق مع الفريق الآخر فينكر المشتبه في نصرتهم للمشاعبين هذا الموقف قائلين: "هم لا يمثلوننا ، كيف لهم أن يشعروا بمعاناتنا ؟ فهم يدتسون صورتنا الحقيقية . وفي المقابل ، يدين آخرون أعمال الشغب . وتوجد هوة عميقة بينهما تبين استراتيجيات الفريقين، كما يحدد الانقسام تفاعلهم وردات فعلهم .

3. تصوّر الحركة الاجتماعية لسنة 2021 الكترونيا: إيجاب ومراقبة

3.1. الشرطة في الشبكات : دور نقابات الشرطة

في نفس الوقت، لاحظنا اقبالا كبيرا على شبكات التواصل الاجتماعي وتزايد الصفحات والحسابات على الفيسبوك التي تحمل اسم نقابات الشرطة وانتشرت حملات التشهير كالنار في الهشيم وطالت العديد من المتظاهرين خاصة الذين تعودوا على التعبئة الحضرية. إذ نشرت صفحات معيّنة صورا مهمة لشخصيات ذاع صيتها ولنشطاء في المجتمع المدني وألحقت الصور بأوصاف مستفزة . صوّرت صفحات نقابة الشرطة وحساباتها أشكال الاحتجاج الرمزية التي وقعت في مواجهات مع الشرطة كاستعمال بخاخات الطلاء ووضع أحمر الشفاه على دروع رجال الشرطة وإبراز اصبع الانتقام إلى رجال الشرطة ، إلخ... كما تم التركيز على الهويات وتسليط الضوء على المظاهر الجندرية "غير المألوفة" وأنماط اللباس "غير العادية" والتعبيرات الجسدية الحديثة. وبناءً على تقدّم، تماشت هذه المعاملة مع تواصل القمع البوليسي في المظاهرات وفي الأعمال

التخريبية. وكانت التعليقات على الصور تُشرعن العنف البوليسي انطلاقاً من حجج أخلاقية وتم التهكم على أصحاب الصور بعبارات مثل: هل تنافح عن قضية هؤلاء ؟ تلك التي تدّعي أننا نضطهدها ...أحببت الشرطة ونقاباتها روح الحركة وتم استعمال معلومات مضللة عنوة وذلك للتصدي للنشأة وإحداث انقسامات في صلب الحركة. وشكى النشطاء ما لقيه العديد منهم من إساءة على شبكات التواصل الاجتماعي وفي الأماكن العامة. فنذكر تعرّض شخصية كويرية للخطر وتم نفيها بعد ذلك . وتم التحجج بالأخلاق الحميدة لتعزيز القمع ونزع الحركات الاجتماعية شرعيتها وهم يتخذون من التشهير والسخرية سبيلاً فيم يتعلّق بادعاءات المعارضين وإخفائها أحياناً لاستفزازهم.

3.2. الجمهور : يستبطن القمع ويكرسه

شوّهت صورة الاحتجاجات بشكل مختلف من قبل الجمهور وكانت فئة تُفاخر بأخلاقها وسلوكها السوي مع من يشبهها من الناس واستنكرت فكان النشطاء أحياناً يفون بـ "شيطانيين" ، وأحياناً "مثليين جنسيًا" "مخنثين" ، وأحياناً "غير مؤمنين". وتمت إهانة ناشطة نسوية ومثلية "أ" وتم الإعتداء عليها بعد المشاركة في المظاهرات. كما سُجنت لمدة ستة أشهر ، أوغل الجمهور في مهاجمتها ، وحتى من تظاهر صورياً بالدفاع عنها . ورد الأشخاص الذين ينتمون إلى مجال عمالي على استفزازات نقابات الشرطة بطريقة عنيفة وبشدة وعلى محاولة سلبهم الحق في تنظيم احتجاجات بالخطابات المدويّة.

في الواقع ، مسألة شرعية ومصداقية التعبئة مهمة جداً. إن رؤية الحركة تتلخّح بأفعال من هم "ضد الأعراف الثقافية للبلاد" يدفع هذه الفئة إلى رفض الحركة ككل. ثم يردون - بالإشارة إلى الحجج الدينية والتقليدية - بالتشهير والتهديد والإهانات العلنية والتخريب والعنف الجسدي، إلخ.

من ناحية أخرى، هناك فئة أخرى من الأفراد تتبنى خطابات متعارضة. وهي شخصيات عامة ومعروفة ومثقفة " ونشطاء يهاجمون ما وصفوه بجرائم الغوغاء، مؤكدين الطابع الوحشي للشغب. ومن خلال دعوة المشاغبيين إلى "الهدوء «هم يعززون هذا الطابع الوحشي. كما احتكروا أقاليماً معينة لوصم المشاغبيين. وكان ذلك باستحضار أصولهم الريفية وبالتالي عدم قدرتهم على الامتثال لقواعد السلوك الحضري. وأصر آخرون أن

ما ردود الفعل هذه سوى ردودا طبيعية في "الوضع المتأزم" ، بينما شجبوا على الأحزاب السياسية لعدم قدرتها على استغلال الأزمة والغضب الشعبي.

بالنسبة للجمهور الذي يراقب ويشارك - بشكل مباشر أو غير مباشر - في تعبئة شتاء 2021 ، فإن الأمر يتعلق أحياناً بمفهوم يقتات على التحيز الجنسي ورهاب المثلية وإحباط الاحتجاجات وأحياناً الخطاب النخبوي الذي يزدري الطبقات المتواضعة ويُمارس الحقرة.

VII. استنتاج

حفل تاريخ تونس بالاحتجاجات. ولكن يتوغلون في قمعها وإخماد أصوات محتجها بانتهاج سياسات معينة.. في الشهرين الأولين من عام 2021 ، اندلعت الاحتجاجات وتم تشكيلها جزئياً عبر أعمال شغب ليلية وجزئياً من خلال مظاهرات نهائية. لذلك جاءت هذه الاحتجاجات في أعقاب الحركات الدورية ليلا ونهارا. امتدت أعمال الشغب خلال الأيام واستبدلت بها ودعمتها مظاهرات "سلمية" ، نفذها المجتمع المدني والنقابات وبعض الأحزاب السياسية ، واختصت بسماوات ناشطين بديلة مثل "الجيل الخطأ" ، وحركات حيث تم تمييز مشاركة المراهقين. لوحظ تباين في الملامح وأشكال المطالبات، على الرغم من تشابه محتويات المطالبات. وأدى ذلك - في مواجهة المعاملة القمعية من قبل الشرطة وتخصيص أماكن في الفضاء العام - إلى نزاعات بين المجموعتين، وتوجيه أسئلة حول الشرعية والخداع. وهكذا، تم تنفيذ تصفية معززة بالخطب الشعبوية واتحادات الشرطة على شبكات التواصل الاجتماعي والافتراء على مجموعة من المتظاهرين على أنترنت ، في إشارة إلى الأخلاق الثقافية المنشودة . أما بالنسبة إلى مثيري الشغب والمتعاطفين معهم ، فقد تم إلقاء اللوم على المتظاهرين في ذلك اليوم ، لأنهم سرقوا حركتهم الاجتماعية ضد التهميش الاجتماعي والاقتصادي بطريقة رمزية . وهكذا ، تم استنزاف الروح المعنوية للمظاهرات النهارية ولصنيع مثيري الشغب الذين سيكونون مجرد مجرمين ولصوص ، حتى تخور قوى الحركة وتهلك. أدت السيطرة "الأخلاقية" على أشكال المطالب إلى توترات داخلية ، كما أن استئناف الجمهور للقمع الإلكتروني.أسهم في تقوية الفاعلين وشكك في مصداقيتهم هم .

ولئن مثلت هذه الأحداث فرصة سانحة لرصد مشاركة المواطنين الشاملة وإدراك التوترات التي تكوّنت بين المجموعات المختلفة عن كذب ، تظل تساؤلا عديدة تتبادر إلى أذهاننا مثل : كيف تتم مراقبة برامج

التعبئة التي تنظّم عبر وسائل التواصل الاجتماعي من قبل السلطة وأي تعبئة يختارها الجمهور . كي تتماشى مع انتماءاته واحتياجاته ؟ هل أن تلاقي النضالات خيال أم فرضية قائمة ترسّخت فعلا؟

2022

